دور «الآداب» في حياتنا الثقافيّة

مؤنس الرزاز

إذا كانت بيروت عاصمةً للثقافة العربيّة ومركزها، فقد كانت مجلّة **الآداب** مطار تلك العاصمة وميناءَها وطريقها الذي تربط بين المركز والأطراف. فعلى صفحاتها كان الكتّاب العرب يتواصلون ويتفاعلون ويتعرَّفون بعضهم إلى بعض.

وإذا كانت بيروت قد أسهمت إسهاماً رئيسيّاً في بلورة الثقافة العربيّة، فقد ساهمت مجلّة **الآداب** مساهمةً رئيسيّة في بلورة هويّة بيروت عاصمةً ثقافيّة للعرب.

كانت مجلّة **الآداب** مقهى المثقّفين العرب. يتحلَّق المبدعون العرب حول صفحاتها، ويتجاورون ويتقابلون ويتعارفون ويتفاعلون، بين سطورها، دون أن يضطرُّوا إلى السَّفر وشدِّ الرِّحال.

ولعبت مجلّة **الآداب** دوراً خطيراً في اكتشاف مواهب إبداعيّة عبقريّة، كانت مغمورة، فقدَّمتها من خلال صفحاتها إلى القرّاء العرب في كلِّ مكان.

وكلُّنا يعلم الخطّ القومي التحرُّري الذي تبنَّته مجلّة **الآداب**. لكن هذا الموقف المشرِّف لم يدفعها إلى التزمُّت؛ فكانت منبر حوار وتفاعل يسمح للمبدع بالتَّعبير عن إبداعه بأشكال مختلفة.

ولاشكّ في أنَّ المعارك القوميّة الثقافيّة التي خاضتها **الآداب** ساهمت مساهمة أساسيّة في تثبيت الهويّة القوميّة التحرُّريّة للمثقَّف العربي، وساعدت على دحر الدعوات الانعزاليّة التي حاولت النّيل من ثقافتنا وحضارتنا.

وليس باستطاعة أيّ متحدِّث عن مجلّة **الآداب** أن يتجاهل الدور الرّائد الذي قام به الأديب الكبير سهيل إدريس.. هذا المبدع المتعدِّد المواهب: فهو روائي متقدِّم، ومترجم بارع، وناشر متميِّز؛ بل هو أثَّر تأثيراً كبيراً في أجيال من الكتّاب العرب، من خلال إعجابه بأدباء كان له الفضل في تقديمهم إلى القارئ العربي، مثل كولن ولسون وسارتر وغيرهما.

لقد استطاع سهيل ادريس أن ينجز ما عجز عنه السياسيُّون والمناضلون القوميُّون. فقد نجح في إقامة مؤسَّسة الوحدة العربيّة الثقافيّة، وجعل مجلّة **الآداب** عاصمة لها. فاخترق الحواجز القطريّة، وبات كلّ مبدع عربي يحلم ويعتزّ بالانتماء إلى هذه العاصمة المنبريّة الديمقراطيّة القوميّة التحرُّريّة.

وفي هذه الأيّام، أيّام اندثار الحلم العربي القومي، أيّام التّرويج للتطبيع الثقافي مع العنصريّة الصهيونيّة، نشعر بحاجة ماسّة إلى بعث مجلّة **الآداب** من جديد. فدعونا نُعِدْ تنظيم أنفسنا وراء متراس **الآداب** بعد أن زلزلتنا النكبات والهزائم والحروب الأهليّة والكوارث والمؤامرات.

فالثقافة العربيّة هي الحصن الوحيد العصيّ على غسيل الدماغ الاستعماري الصهيوني. ومجلّة **الآداب** مرشَّحة لكي تستعيد دورها الريادي، فتقوم بدور حارس هذا الحصن والمدافع الرئيسي عنه.

دعونا نُعِدْ تنظيم أنفسنا وراء متراس «الآداب»، ولْنُرَمِّمْ بيروت عاصمةً للثقافة العربيّة التحرُّريّة المنحازة للإنسان والحياة!

إنَّ الثقافة العربيّة تواجه أكبر تحدٍّ في هذا العصر. فما يقوله المتساهلون من أنَّهم لا يخشون التواصل مع رموز وهيئات ثقافيّة صهيونيّة، ليس صحيحاً. إنَّهم يبرِّرون التفريط بحجّة عراقة الثقافة العربيّة والعقل العربي. ونحن نقول إنَّ القمع والإرهاب الثقافي والقهر والإحباط والاعتماد على الاتِّباع لا على الإبداع، قد أدَّتْ إلى ضعف الثقافة العربيّة وانحطاطها منذ قرون

وقرون، كما أدّت إلى تحنيط العقل العربي وتجميده. فما إن حاول العقل العربي أن يرسم مشروعه النهضوي حتّى ضُرِب بـ «النابالم» والقنابل العنقوديّة والفراغيّة.

وها هو المثقّف العربي يقع ضحيّةً بين سندان البترودولار ومطرقة الاغتيال وكواتم الصوت. ويقع ضحيّة بين عقليّة الاتّباع المتحجّرة وعقليّة البيروقراطيّة الرسميّة القاهرة.

فلنرصّ الصفوف، ونرمّم بيروت عاصمةً للثقافة العربيّة التحرُّرية المنحازة للإنسان والحياة مرّة أخرى. ولنتحصَّن في حصن مجلّة **الآداب** من جديد. فقادتها من «الإدريسيّين» يملكون القدرةَ والجرأةَ على ترميم هذا الحصن، بعد أن تعرَّض للحصار والمؤامرات والضغوطات ومحاولات التهميش. فـ **الآداب** التي كانت ملاذنا ستبقى كذلك. وكلّ التّحيّة والامتنان إلى رائد هذا الحصن المنيع، إلى أستاذنا الكبير سهيل ادريس... وإلى الصديق سماح ادريس الذي نأمل أن يواصل حملَ الرّاية، بالرَّغم من الظروف العسيرة الصعبة. ونحن على ثقة أنَّ الإدريسيّين أو الأدارسة يملكون من الحماسة والإيمان وسعَة الأفق، ما يؤهِّلهم لإعادة ترميم هذا الصرح الحضاري المذهل الذي يحمل اسم **الآداب**.

الشعر في «الآداب»:

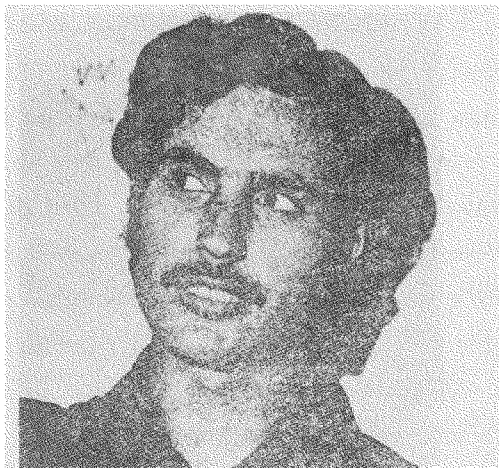

شهادة شخصية

أحمد دحبور

أن أقول شيئاً في مجلّة **الآداب**، أو عنها، يعني أن أسحب شريطاً قزحيّاً من الذّاكرة يمتدّ إلى اللّحظة الرّاهنة، وأوقظ ما لم ينم. فليست **الآداب** مجرّد واحدة من حافظات سجلّ الأدب العربي في النّصف الثاني من القرن العشرين، بل هي البيتُ الثقافي لخمسة أجيال، بما يعني ذلك من أسئلة وسجالات ومعارك وإنجازات. وربّما تجلّى ذلك، أكثر ما تجلّى، في ساحة الشّعر الحديث... بحيث يمكن المغامرة بسؤال مشروع

هل كانَ شعرنا الحديث يصل إلى ما هو عليه لولا دور مدرسة «الآداب» المسؤول؟

عمّا إذا كان شعرُنا الحديث يصل إلى ما وصل إليه، لولا دورٌ مسؤولٌ لمدرسة **الآداب**. ولنقل فوراً: ليست المدرسة المقصودة شكلاً محدّداً، أو تيّاراً خاصّاً، أو مذهباً أيديولوجيّاً بالمعنى المقفل للمفردة، بل هي نزعةُ المتجدّد والمتعدّد في الإطار الوطني القومي ذي الأبعاد الإنسانيّة. ولقد كانت **الآداب** ومازالت ـ على نزعتها التعدّديّة ـ مجلّةً محاربة من الطّراز الأوّل، لا بالمعنى السلبي الّذي عرَّضها للمنع أو التشويه بالتمزيق في غير مكان من الوطن العربي فحسب، بل بإيقاعها الهجومي والمبادر أيضاً... هي الّتي فتحت النّار على عدد من المنابر المجايلة لها، محتكمةً إلى اختياراتها الوجوديّة والقوميّة والتقدّميّة.

ولأنّنا في مجال الشّعر، فلنذهبْ إلى الخطوات الأولى لمجلّة **الآداب** وسنرى أنّها كانت منذ البداية مجلّةَ الشّعر الحديث المعتمدِ على نظام التفعيلة خَلَفاً للقصيدة البيتيّة وعلى أنقاضها. ولنا أن نقدّر جسامةَ هذا الاختيار منذ عقد الخمسينات، حين كانت القصيدة البيتيّة محميَّةً برموز بحجم الأستاذ المرحوم عبّاس محمود العقّاد وبخطاب سلطوي يستخدم هيبةَ المقدَّس لتأثيم كلِّ من يخرج على صراط التقليد. ولأنَّ قصيدة التفعيلة كانت مولوداً جديداً، فقد كانت لاتزال في مرحلة البحث عن ملامحها الغريبة نسبيّاً عن النّظرة السّائدة، وكان لها نتوءاتُها الشّائكة أو الصادمة. ويستطيع أيّ شاعر من